حال أهل البرزخ

من حيث الأعمال التعبُّديَّة

الإمام الشيخ

عبد الله سراج الدين

رحمه الله تعالى ورضي عنه

هذا البحث مقتبس من كتاب

(الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها)

من الصفحة ١٢٣ حتى الصفحة ١٣٢

للشيخ الإمام

عبد الله سراج الدين الحسيني

بناء على توجيهات ولده

المهندس الشيخ

محمد محيي الدين سراج الدين

رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيّمة

وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام

من موقعه الرسمي والوحيد

WWW.SRAJALDEN.COM

قسم مؤلفات الإمام

- المؤلفات المكتوبة وقبسات من المؤلفات

مدير الموقع :

الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

حال أهل البرزخ من حيث الأعمال التعبُّديَّة

لقد تفضَّل الله تعالى على أنبيائه صلوات الله عليهم، باستمرارهم على صلواتهم وعباداتهم لربهم سبحانه وتعالى في عالَم البرزخ.

جاء في: (صحيح) مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، في حديث الإسراء، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «وقد رأيتُني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي، فإذا رجل: ضرْب، جَعْد، كأنه من رجال شنوءة ـ أي: فيه طول ـ وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يُصلي؛ أقربُ الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي؛ أشبه الناس به صاحبكم ـ يعني: نفسه صلى الله عليه وآله وسلم ـ فحانت الصلاة فأممتهم.

فلما فرغت من الصلاة قال لي قائل: يا محمد هذا مالِكٌ صاحب النار فسلِّم عليه ـ فالتفتُّ إليه فبدأني بالسلام».

وفي هذا يُخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عمَّا رأى في ليلة الإسراء، وأنه رأى الأنبياء يُصلُّون فُرادى، ثم جمعتهم صلاة واحدة، فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إماماً.

وعن أنس رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلُّون» رواه أبو يعلى، والبيهقي.

وقال الدارمي في كتاب: (السنن) المعروف عند المحدثين بـ (مسند) الدارمي: **باب ما أكرم الله تعالى نبيَّه صلى الله عليه وآله وسلم بعد موته** ثم روى بإسناده، عن سعيد بن عبد العزيز قال: (لما كان أيام الحرَّة لم يُؤَذَّن في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يُقم ـ أي: لم يُقم فيها الصلاة ـ ولم يبرح سعيد بن المسيب من المسجد، وكان لا يَعرف وقت الصلاة إلا بِهَمْهَمَةٍ يسمعها من قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم)[1].

وروى مسلم في: (صحيحه) عن ابن عباس رضي الله عنهما، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرَّ بوادي الأزرق فقال: «أيّ وادٍ هذا»؟

فقالوا: هذا وادي الأزرق.

قال: «كأني أنظر إلى موسى هابطاً من الثنيَّة، وله جُؤَار إلى الله بالتلبية».

ثم أتى على ثنيَّة هَرْشىٰ فقال: «أيُّ ثنية هذه»؟

قالوا: ثنيَّة هرشى.

فقال: «كأني أنظر إلى يُونس بن مَتَّى على ناقة حمراء جَعْدةٍ،

---

(١) رواه أبو نعيم في: (الدلائل)، والزبير بن بكار في: (أخبار المدينة) وابن سعد في: (الطبقات) كما في: (إنباه الأذكياء في حياة الأنبياء) للحافظ السيوطي رحمه الله تعالى.

عليه جُبة من صوف، خُطام ناقته خُلبَة ـ أي: ليف ـ وهو يلبِّي».

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى عند هذا الحديث: أكثر الروايات أنه صلى الله عليه وآله وسلم رآهم كذلك ـ أي: يلبُّون حاجين ـ ليلة الإسراء. اهـ.

قال الحافظ الزرقاني: فإن قيل كيف تُصلي الأنبياء وهم أموات في الدار الآخرة، وهي ليست دار عمل؟ قال: أجاب القاضي عياض والعلامة السبكي بأنهم كالشهداء، بل أفضل، والشهداء أحياء عند ربهم يُرزقون، فلا يُستبعد أن يحجوا ويصلوا، وأن يتقربوا إلى الله تعالى بما استطاعوا، لأنهم وإن ماتوا فهم في هذه الدنيا ـ أي: فهم لا يزالون في هذه الدنيا من جهة، وليسوا في الآخرة من كل الاعتبارات. والدنيا ـ التي هي دار العمل، حتى إذا فنيت مدتها؛ وتعقبها الآخرة التي هي دار الجزاء: انقطع العمل.

وحاصله أَنّ أهل البرزخ ينسحب عليهم حُكم الدنيا في استكثارهم من الأعمال، وزيادة الأجور.

ثم قال: وتكفي رؤيته صلى الله عليه وآله وسلم لموسى عليه السلام قائماً يُصلي في قبره، ولأن جميع الأنبياء لم يُقبضوا حتى خُيِّروا في البقاء في الدنيا وبين الآخرة، ولا شكَّ أنهم لو بقوا في الدنيا لازدادوا من الأعمال الصالحة ثم انتقلوا إلى الجنة، فلو لم يَعلموا أَنَّ انتقالهم إلى الله تعالى ـ بسبب الموت ـ أكمل لما اختاروه، ولو كان انتقالهم من هذه الدار يُفَوِّتُ عليهم الزيادة فيما يُقرب إلى الله تعالى لما اختاروا الانتقال[1] اهـ.

---

(١) انظر: (شرح) الزرقاني على: (المواهب).

هـذا وإنَّ الله تعـالـى قـد يُكـرم العلمـاء العـامليـن، وعبـاده الصالحين: باستمرارهم على طاعتهم وقرباتهم من الصلوات والتلاوات وما هنالك من العبادات، ويدلك على هذا ما رواه الترمذي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ضَرَب بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم خِباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها، فأتى الرجل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله ضربت خِبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر؛ فإذا إنسان يقرأ سورة الملك ﴿تَبَـٰرَكَ﴾ حتى ختمها.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «هي المنجية، تُنجيه من عذاب القبر».

وروى أبو عبد الله بن منده بإسنادٍ فيه ضعف، من حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: أردت مالي بالغابة، فأدركني الليل، فأويت إلى قبر عبد الله بن عَمرو بن حرام رضي الله عنه فسمعت قراءة من القبر ما سمعت أحسن منها، فجئت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكرت ذلك له.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ذلك عبد الله، أَلَمْ تعلم أَنّ الله قبض أرواحهـم فجعـلها في قنـاديل من زُبرجـد وياقوت، وعلَّقهـا وسط الجنـة، فإذا كان الليل رُدَّت إليهـم أرواحهم إلى مكانهـا التي كانت»[1].

---

(١) انظر كتاب: (أهوال أهل القبور) لابن رجب الحنبلي.

وروى أبو نعيم بإسناده، عن إبراهيم بن الصُّمَّة قال: حدثني الذين كانوا يمرون بالحصى بالأسحار قالوا: كنا إذا مررنا بجنبات قبر ثابت البناني سمعنا قراءة القرآن.

وروى أبو نعيم بإسناده، عن يسار بن حُبيش عن أبيه قال: أنا والذي لا إلّه إلا هو أدخلت ثابتاً البناني في لحده، ومعي حُميد ورجل غيره، فلما سوَّينا عليه اللبن سَقَطت لبنة، فإذا به يصلي في قبره.

فقلت للذي معي: ألا تراه؟

فقال: اسكت.

فلما سوَّينا وفرغنا، أتينا ابنته فقلنا لها: ما كان عمل ثابت؟

قالت: وما رأيتم؟

فأخبرناها.

فقالت: كان يقوم الليل خمسين سنة، فإذا كان السحر قال في دعائه: اللهم إن كنت أعطيت أحداً الصلاة في قبره ـ أي: بأن يصلي لك في قبره ـ فأعطنيها.

قالت ابنته: فما كان الله ليردَّ ذلك الدعاء.

وروى الحافظ أبو بكر الخطيب، عن عيسى بن محمد قال: رأيت أبا بكر بن مجاهد المقرىء في النوم، كأنه يقرأ وكأني أقول له مِتَّ وتقرأ؟

فقال: كنت أدعو الله تعالى في دبر كلِّ صلاة، وعند ختم القرآن أن يجعلني ممن يقرأ في قبره ـ أي: فأعطي ذلك.

قال عبد الله: وأنا أسأل الله العظيم، بوجاهة حبيبه الكريم سيدنا

محمد صلى الله عليه وآله وسلم: أن يجعلني من المصلين والقارئين والمتعبدين في قبورهم؛ إنه سميع الدعاء.

وقد يُقال: إذا كان الأمر كما تقدم، فما معنى الحديث الذي رواه مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث...» الحديث.

قلنا: أولاً: إنه لا يجوز للإنسان أن يفهم من هذا الحديث انقطاع العمل بالموت كلياً، لأن هذا الفهم يتنافىٰ مع كثير من الأدلة القرآنية والأحاديث النبوية، التي تُثبت أَن هناك أعمالاً بعد الموت، منها تكليفية ومنها تكييفية، بها اللذة والنعيم والرَّوْحُ والريحان:

فمن جملة تكاليف أهل البرزخ: مطالبتهم بالجواب الصحيح عن السؤال في القبر كما تقدم في بحث سؤال الميت، وينبني على جوابه ثواب أو عقاب كما تقدم.

ثم من جملة التكاليف في الآخرة: مطالبة العباد يوم القيامة أن يَسجدوا لرب العالمين، وهذه السجدة لها آثارها وأحكامها:

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: يوم القيامة يُكشف عن شدائد وأهوال، ويتجلى ربُّ العزة ويدعو العباد كلَّهم إلى أن يسجدوا لله تعالى، فمن كان يسجد في الدنيا يسجد في الآخرة، وأما الكفار فلم يسجدوا لربهم في الدنيا فلا يستطيعون السجود له هناك.

كما جاء في: (صحيح) البخاري، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يَكشف رَبُّنا عن ساق ـ أي: عن أمر عظيم مهيب ـ فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة،

ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعة؛ فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً» أي: فلا ينحني ظهره.

وأما الأعمال التكييفيّة التي يترقَّون بها في مقامات القرب، وفي درجات النعيم، والرَّوْحِ والريحان: **فمنها صلواتهم في البرزخ** كما تقدم في الأحاديث الصحيحة.

ومن ذلك عبادات أهل الجنة في الجنة، وكثرة تسبيحهم وتحميدهم أعظم مما كانوا عليه في الدنيا، كما جاء في: (صحيح) مسلم، عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفلون ولا يبولون، ولا يتغوَّطون، ولا يمتخطون».

قيل: فما بال الطعام؟

قال: «جُشَاءٌ كرشح المسك، يُلهمون التسبيح والتحمِيد كما تُلهمون النَفَس» أي: بلا كلفة ولا مشقة، فصار ذلك لهم روحاً وريحاناً، ولذة ونعيماً بلا تكلُّف ومشقة، فهم ملازمون للتسبيح والتحميد ملازمة النَفَس.

وفي: (الصحيحين) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أن الملائكة تقول: لو رأوك ـ أي: يا ربنا لو رآك العابدون والذاكرون ـ كانوا أشدَّ لك عبادة، وأكثر لك تسبيحاً وتحميداً» ولا شك أنهم في الجنة يرون ربهم سبحانه، فهم أكثر عبادة له منهم في الدنيا.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يقال للقارىء: إقرأ وارقَ، ورتِّل كما كنت ترتل في الدنيا، فإنَّ منزلتك عند آخر آية تقرؤها» رواه الترمذي وقال: حديث صحيح.

وفي هذا دليل على استمرار الأعمال الصالحة في الجنة، وأن صاحبها يرتقي بها درجات، وينال بها مقامات.

وروى الترمذي أيضاً وحسَّنه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «يَجيء القرآن يوم القيامة فيقول: يا ربِّ حَلِّه؛ فيُلبس حُلّة الكرامة، ثم يقول: يا ربِّ ارض عنه، فيرضى عنه، فيقال: اقرأ وارْق ويزداد بكل آية حسنة».

فقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ويزداد بكل آية حسنة» هو صريح في ثواب تلك القراءات والتعبدات في عالم الآخرة، وأنهم ينتفعون بتلك القراءات والتسبيحات ـ إذاً فالعمل لا ينقطع انقطاعاً كلياً بعد الموت، بل هناك أعمال وأعمال، على مدِّ العوالم، كل عالَم على حَسَبه.

ثانياً: إنَّ الرجل الصالح إذا طال عُمُره وبقاؤه في الدنيا ازداد من الأقوال الصالحة والأعمال الطيبة، التي ترفع درجته وتقربه إلى الله زلفى، كما جاء في: (سنن) الترمذي وقال فيه: حسن صحيح، عن أبي بكرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، أيُّ الناس خير؟

قال: «من طال عمره وحَسُن عمله».

قال: فأيُّ الناس شرٌّ؟

قال: «مَن طال عمره وساء عمله».

فلو كان العمل الصالح بأنواعه ينقطع انقطاعاً كلياً بعد الموت لما اختارت الأنبياء صلوات الله تعالى على نبينا وعليهم الانتقال إلى الدار الآخرة، حين خيّرهم الله تعالى بين البقاء في الدنيا والانتقال إلى الآخرة، لأنهم حينئذ قد فوَّتوا على أنفسهم أعمالاً صالحة باختيارهم.

فقد روى الشيخان، عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لن يُقبض نبيٌّ حتى يَرى مقعده من الجنة ثم يُحيَّا أو يخيَّر» الحديث.

فالأنبياء يخيرون بين البقاء في الدنيا وبين الانتقال إلى الآخرة، فلو كانت أعمالهم الصالحة من الصلوات ونحوها تنقطع بالموت لاختاروا البقاء في الدنيا، ليستمروا على الأعمال الصالحة، فإنهم أحرص الناس عليها، ولو أنهم اختاروا البقاء في الدنيا لأُعطوه كما يدل الحديث المتفق عليه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أُرسِلَ ملك الموت إلى موسى فلما جاءه صَكَّه ـ أي: ضربه ـ ففقأ عينه.

فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت.

فردَّ الله تعالى إليه عينه فقال: ارجع إليه فقل له: يضع يده على متن ثور، فله بكل ما غَطت يده من شعره سنة.

قال: أيْ ربِّ ثم ماذا؟

قال: ثم الموت.

قال: فالآن ـ فسأل الله تعالى أن يُدنِيَهُ من الأرض المقدسة رمية بحجر» الحديث.

وقد تكلمنا على هذا الحديث كلاماً مفصلاً في كتابنا: (الإيمان بالملائكة عليهم السلام) فارجع إليه إن شئت.

فالأنبياء صلوات الله عليهم لا ينقطعون عن عباداتهم وصلواتهم ـ أي: بعد موتهم ـ وكذلك من أكرمه الله تعالى في الدنيا بالأعمال الصالحة، والقراءات والتهجدات من عِباده العُبَّاد المؤمنين، فإنه

سبحانه يُكرمهم بعد الموت بالاستمرار عليها، كما يشير إليه قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «يقال للقارىء يوم القيامة: إقرأ وارقَ» الحديث كما تقدم.

يعني: القارىء في الدنيا المواظب على قراءاته، المستمر على تلاوته في الدنيا: يُكرم بالاستمرار عليها في الآخرة، وهكذا المتهجدون والمتعبدون كلٌّ على حسب مقامه ـ اللهم اجعلنا منهم.

وأما العمل الذي يَنقطع بعد الموت فهو العمل التكليفي الدنيوي ـ أي: الذي هو من تكاليف عالَم الدنيا قبل الموت، فإنه ينقطع بالموت لفوات أوانه.

فالفرائض التي تركها في الدنيا لا تُقضى هناك، وزكوات لم يُؤدِّها في الدنيا لا تؤدى هناك، وواجبات تركها وعبادات أهملها، وتطوعات قصَّر فيها؛ فإنَّها إذا مات فاتته ـ نعم إلا ما تسبَّب فيه من الأعمال الصالحة، والأمور النافعة قبل الموت، وهذا التسبب كالصدقة الجارية، والولد الصالح يدعو له، والعلم الذي يُنتفع به إلى آخر ما تقدم، فإنَّ خيره يجري عليه.

كما أَنّ مَن ورَّث علماً ضاراً، أو تسبب في عمل سيىء، أو سَنَّ سُنة سيئة: فإنه بعد الموت يجري عليه إثمه، وإثم من عمل به، كما جاء في الآية الكريمة: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾.

* * *